الخط العربي: نشأته وتطوره

العرب من الشعوب التي عرفت الكتابة وممارستها قبل الإسلام بزمان طويل، بل عرفوا الكتابة قبل الميلاد ببضع مئات من السنين، وقد عثر في مواضع من جزيرة العرب على كتابات دونت باليونانية وبلغات أخرى. وتبين من دراسة النصوص الجاهلية أن العرب كانوا يدونون قبل الإسلام بقلم ظهر في اليمن بصورة خاصة، هو القلم الذي أطلق عليه أهل الأخبار القلم المسند أو قلم حمير، ثم تبين أنهم صاروا يكتبون بقلم آخر، أسهل وألين في الكتابة من المسند، أخذوه من القلم النبطي المتأخر، وذلك قبيل الإسلام على ما يظهر، كما تبين أن النبط وعرب العراق وعرب بلاد الشام كانوا يكتبون بالآرامية وبالنبطية. ويظهر من عثور الباحثين على كتابات مدونة بالمسند في مواضع متعددة من جزيرة العرب، ومنها سواحل الخليج العربي، بعضها قديم وبعضها قريب من الإسلام، أن قلم المسند، كان هو القلم العربي الأصيل والأول عند العربي (علي، ١٩٧٢: ج٨/ ١٥٢-١٥٣).

غير أن معظم الدراسات الحديثة نتيجة للدراسات والمقارنات العلمية الدقيقة للنقوش النبطية المتأخرة والعربية الجاهلية تؤكد على اشتقاق الخط العربي من الخط النبطي. فقد أظهرت هذه الدراسات أن الخط النبطي أخذ في التطور تجاه الشكل اللين خلال القرون الثاني والثالث والرابع الميلادية، وذلك اعتماداً على أكثر من عشرين نقشاً تعود للفترة من تاريخ سقوط البتراء عام ١٠٦م، إلى فترة ظهور الكتابة العربية. وأهم هذه النقوش العربية في فترة ما قبل الإسلام ثمانية نقوش عثر عليها في مواضع مختلفة وأصبحت الأساس الذي اعتمد عليه العلماء في

دراسة تطور الكتابة العربية في فترة ما قبل الإسلام.

ومن هذه النقوش نقش أم الجمال الأول ٢٥٠ م-٢٧٠م، وهو نقش نبطي على قبر فهر مربي جذيمة ملك تنوخ. والنقش الثاني هو نقش النمارة ٣٢٨م على قبر امرىء القيس أحد ملوك الحيرة، ويتكون من خمسة أسطر. والنقش الثالث هو نقش زبد ٥١٢م، وقد عثر عليه في خربة زبد جنوب شرق حلب على حجر مثبت في بناء كنسي، وكتب النقش باللغات العربية المبكرة وباللغتين اليونانية والسريانية، وتظهر في النقش أسماء الأشخاص الذين أسهموا في البناء.

أما النقش الرابع فهو نقش حرّان المؤرخ بعام ٥٦٨م. وقد كتب النص باللغتين اليونانية والعربية. ويختص هذا النقش بأمير عربي من كندة وضعه على باب كنيسة يوحنا المعمدان بعد افتتاحها تخليداً لهذه الذكرى. والنقش الخامس الأخير من مجموعة هذه النقوش النبطية هو نقش أم الجمال الثاني، الذي يؤرخ بالقرن السادس الميلادي، إذ تقترب لغته إلى العربية القرآنية مبتعدة عن النبطية لغة وكتابة.

وتوضح هذه النقوش الأساس الذي نشأ عليه الخط العربي بعد ذلك في بداية العصر الإسلامي، إذ إنّ كثيراً من الكلمات في هذه النقوش تنطق بلغتها العربية ما بين الأسماء والكلمات والمصطلحات والتعبيرات، وقد استمر تأثير الخط النبطي على الخط العربي في العصر الإسلامي بعد ذلك لفترة من الزمان.

وفي الآونة الأخيرة عثر على نقشين عربيين جاهليين في موقع القلعة على مسافة ٥ كم إلى الشمال من مدينة سكاكا بمنطقة الجوف، ويعدان من أوائل النقوش العربية المبكرة المكتشفة داخل الجزيرة العربية.

وأُرخت هذه النقوش بالقرن الخامس الميلادي بناء على تطور أشكال حروفهما، وقد أكدت الدراسة المقارنة لأشكال الحروف أهميتهما. فقد أظهرت معظم الحروف في النقشين تطوراً نحو الشكل العربي، وهو تطور يأتي في مرحلة بين نقش النمارة وأم الجمال الثاني وزبد، ومن هنا تأتي أهميتهما، إذ إنّ هناك فارقاً زمنياً كبيراً بين نقش النمارة ٣٢٨م ونقش زبد ٥١٢م وحرّان ٥٦٨م.

والنقش الأول من سطرين، يحوي الأول منهما كلمة واحدة من ثلاثة أحرف، والسطر الثاني يضم كلمتين تتكونان من ستة أحرف، والكلمة الثانية

في السطر الثاني «ج ر م و» تظهر تطوراً واضحاً نحو العربية، خصوصاً حروف الجيم والميم والواو، ويقرأ النص:

١) ح م أ

٢) ب ر ج ر م و

القراءة:

١) حمأ.

٢) بن جرم.

ويعد هذا النقش من النقوش المهمة المكتشفة في شمال المملكة، وتنبع أهميته من تطور بعض أشكال حروفه نحو الشكل العربي المبكر.

أما النقش الثاني فقد عثر عليه بالقرب من النقش السابق على واجهة صخرية واحدة. والنقش من ثلاثة أسطر، يحوي الأول كلمة واحدة من أربعة أحرف، والثاني من أربع كلمات: الأولى حرفان، والثانية ثلاثة أحرف، والثالثة حرفان، والرابعة من خمسة أحرف. السطر الثالث يحوي كلمتين، الأولى من حرفين والثانية من أربعة أحرف. أما النص فهو:

١) ب ع ص و

٢) ب ر ع ب د م ر ا ل ق ي س

٣) ب ر م ل ك و

ويقرأ النص:

١) بعص

٢) بن عبد أمرو القيس

٣) بن ملك (مالك)

ويعد هذا النقش أكثر أهمية من النقش السابق بسبب التطور الواضح في أشكال الحروف من أصولها النبطية.

ولا شك أن اكتشاف هذين النقشين يجعل منهما مادة مهمة في إبراز دور الجزيرة العربية في تطور الكتابة العربية، خاصة أن معظم النقوش النبطية المكتشفة في شمال الجزيرة العربية والحجاز تمتاز عن غيرها من النقوش النبطية الأخرى

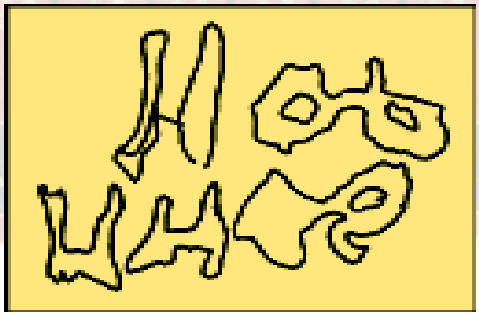

صورة مفرغة لنقش عربي جاهلي
القلعة – سكاكا

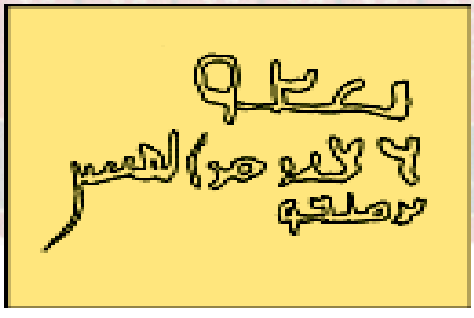

صورة مفرغة لنقش عربي جاهلي
القلعة – سكاكا

باتجاهها السريع نحو الشكل اللين وارتباط حروفها بعضها ببعض، وهذا يمثل بداية تطور الشكل النبطي نحو تشكل الحروف العربية. لذا فإن الاكتشافات المستقبلية سوف تظهر لنا عدداً من النصوص الجاهلية التي ربما تؤكد نظرية تطور الكتابة العربية داخل الجزيرة العربية وفي بلاد الشام في الوقت نفسه.

الكتابات في عصر الرسول والخلفاء الراشدين

تعد فترة صدر الإسلام من أهم الفترات في تاريخ الكتابة العربية، حيث شهدت هذه الفترة بداية مرحلة التدوين العربي المتمثل بتدوين الوحي. وكانت المدينة تعج بالكتبة الذين دفعهم الدين الإسلامي لتعلم الكتابة، فظهرت بوادر ذلك منذ وصول الرسول ﷺ مهاجراً من مكة إلى يثرب. وتتميز هذه الفترة فيما يتعلق بالكتابة بقلة ما وصل إلينا من كتابات تبين لنا مراحل تطور الكتابة العربية خلال هذه المرحلة المبكرة من تاريخ الإسلام.

وتنحصر النقوش الصخرية التي عثر عليها في المملكة، وهي قليلة جداً، في مجموعة نقوش جبل سلع التي نشرها محمد حميد الله عام ١٩٣٩م، وفي النقش المؤرخ لسنة أربعين هجرية الذي عثر عليه في وادي الشامية في منطقة مكة المكرمة. هذه النقوش تعد أقدم ما وصل إلينا من كتابات إسلامية عثر عليها في أراضي المملكة. ومع أن قلة الكتابات المكتشفة لا تعكس، بأي حال من الأحوال، المراحل المهمة لتطور الكتابة خلال الفترة المبكرة، لكننا سوف نحاول من خلال هذه النقوش إعطاء لمحة عامة عن نمط الكتابة الإسلامية المبكرة.

كتابات جبل سلع: عثر في الواجهات الصخرية لجبل سلع، الواقع غرب المدينة المنورة، على مجموعة من النقوش العربية المبكرة. وبعض هذه الكتابات طمست حروفها، خاصة النقوش المكتشفة في سفوح الجبل الغربية. أما النصوص التي قرأها محمد حميد الله فتقع أغلبها عند الزاوية الجنوبية من الجبل. وتحتوي هذه المجموعة على ثلاثة نصوص:

أ- النص الأول:

١/ امسى واصبح عمر

٢/ وابو بكر يتوبان

٣/ الى الله من كل

٤/ ما يكره

ب- النص الثاني:

يتكون من كتابتين:

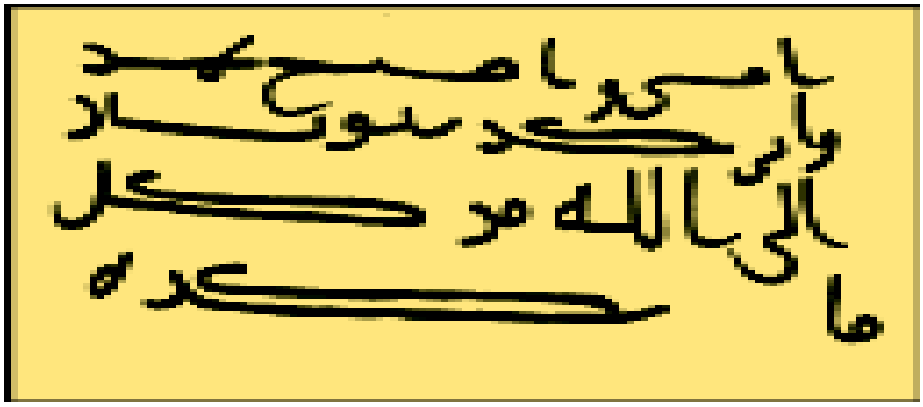

صورة مفرغة لكتابة حجرية من جبل سلع – المدينة المنورة

أولاً: الكتابة على الجهة اليسرى من الصخرة:

١/ حكيم
٢/ ويومن (بالله)
٣/ عمر ابن ال
٤/ بكر

ثانياً: مجموعة كتابات على يسار الكتابة السابقة وهي أسماء شخصيات:

انا عمارة بن حزم انا ميمون انا محمد بن عبدالله انا و ... بن عوسجة انا خلف انا سلمين الاحفر انا ... انا سهل ابن ... انا معقل الجهني ياالله انا انا سعد بن معذ ... ابن ع ... انا ... انا علي بن ابو طالب ومحمد

جـ) النص الثالث:

١/ اشهد ان لا اله
٢/ (الا الـ)له واشهد ان محمداً عبده
٣/ (ورسولـ)ـه برحمتك ياالله لا اله الا
٤/ (هو علـ)ـى الله توكلت وهو رب
٥/ العرش العظيم

هذه النقوش غير مؤرخة إلا أن حميد الله أرجعها للسنة الخامسة للهجرة. وربما كان عدم تأريخ هذه النقوش أمراً طبيعياً لأن المسلمين لم يبدأوا باستخدام التاريخ الهجري إلا في السنة السادسة عشرة للهجرة، خلال خلافة عمر بن الخطاب #. واعتمد حميد الله في تأريخه لهذه النقوش على ورود أسماء عدد من الصحابة، إضافة إلى أن جبل سلع كان قاعدة للمسلمين في معركة الخندق، إذ أن ورود أسماء أبي بكر وعمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب وعمارة بن حزم #، وجلهم كان يعرف الكتابة، دعّم رأي الباحث في تأريخ هذه النقوش.

وقد حاول عدد من الباحثين عرب وغربيين التشكيك في صحة نسبة هذه النقوش للمرحلة المبكرة من تاريخ الإسلام دون الاستناد إلى أدلة دامغة تنفي نسبة هذه النقوش للسنة الخامسة للهجرة. وقد أشار صلاح الدين المنجد إلى أن هذه الكتابات هي من بواكير الخط الإسلامي، ولا يمكن في الوقت الحاضر التشكيك في صحتها إلا إذا ظهرت كتابات أخرى بخط أبي بكر وعمر وعلي تخالفها في شكلها.

كتبت نقوش جبل سلع بالخط المدني، الذي يعد مع الخط المكي أقدم أنواع الخطوط العربية التي أشارت إليها المصادر. فقد ذكر ابن النديم خصائص هذين الخطين في قوله «ففي ألفاته اعوجاج إلى يمنة اليد وأعلى الأصابع، وفي شكله انضجاع يسير». هذا الوصف يكاد ينطبق على بعض خصائص كتابات سلع، وهذا يؤكد أنها كتبت بالخط المدني. وتعد مجموعة هذه الكتابات أقدم الكتابات الإسلامية المكتشفة حتى الآن، وتمتاز بحسن الخط وبتطور كبير في أشكال الحروف إذا ما قورنت بأقدم النقوش المؤرخة وهو شاهد قبر أسوان المؤرخ بسنة ٣١هـ، وهذا ما جعل بعض الدارسين يشكك في صحة نسبة هذه النقوش للفترة الإسلامية المبكرة. ونحن نعلم أن حسن الكتابة وجودتها يرتبطان بالكاتب ومهارته، إضافة إلى أنه لم تكتشف حتى الآن كتابات أخرى تعود للفترة الإسلامية المبكرة. ويعود أقدم نص إسلامي عثر عليه بعد هذه المجموعة في الحجاز لسنة أربعين هجرية. لذلك يصبح من الصعوبة بمكان مناقشة تطور الكتابات في الحجاز خلال الفترة الإسلامية المبكرة في غياب الأدلة الكتابية. ولابد أن تكون الكتابة في الحجاز خلال هذه المرحلة أكثر تطوراً من كتابات المناطق الأخرى، مثل مصر وبلاد الشام، إضافة إلى أن المدينة في هذه المرحلة كانت تزخر بأعداد من الكتبة الذين اختار الرسول صلى الله عليه وسلم أفضلهم لكتابة الوحي والرسائل والغنائم والمعاهدات.

د - نقش عبد الرحمن بن خالد بن العاص:

عثر على هذا النقش المؤرخ لسنة أربعين للهجرة في موضع يسمى صنق الزرقا) على بعد ٢كم جنوب غرب مركز المطارفة بوادي الشامية بمنطقة مكة المكرمة، ويتكون هذا النقش من خمسة أسطر ومؤرخ لسنة أربعين للهجرة.

قراءة النقش:

١) رحمت الله وبر

٢) كته على عبدا

٣) لرحمن بن خلد

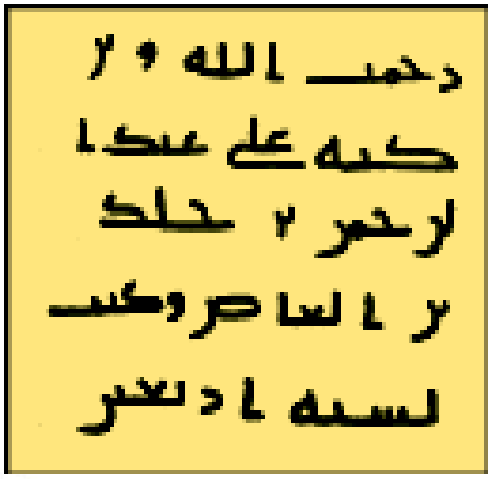

صورة مفرغة لنقش صنق الزرقاء، يعود تاريخه لعام ٤٠هـ –وادي الشامية – مكة المكرمة

٤) بن العاص وكتب
٥) لسنة أربعين

يعد هذا النص أقدم النقوش المؤرخة المكتشفة في المملكة حتى الوقت الحاضر، وثالث نقش مؤرخ بعد شاهد قبر أسوان (٣١هـ) على مستوى العالم الإسلامي، لذا فإنه ذو أهمية في دراسة تطور الكتابة العربية خلال الفترة الإسلامية المبكرة. ويمتاز هذا النص بحسن الخط وبأشكال حروفه التي تتوافق مع بعض أشكال حروف كتابات جبل سلع، خاصة حرف الألف والراء والكاف والحاء. وهذا يؤكد ما أشرنا إليه سابقاً من أن نقوش الحجاز خلال الفترة المبكرة أكثر تطوراً من غيرها. لذلك يجب أن يدرس تطور الكتابة العربية المبكرة من خلال النصوص المبكرة المكتشفة في الحجاز وألا تخضع نصوص الحجاز للمقارنة مع النصوص الأخرى المكتشفة خارج الجزيرة العربية. وسبب ذلك أن ما عثر عليه من نقوش مبكرة في الحجاز أكثر تطوراً من تلك التي عثر عليها خارج الجزيرة العربية، وتؤرخ لمرحلة متأخرة عنها.

الكتابات في العصر الأموي

امتاز العصر الأموي بازدهار في مختلف الجوانب الحضارية الإسلامية. وقد حظيت الكتابات بنصيب وافر من هذا الازدهار، فتطورت الكتابة وانتشرت انتشاراً كبيراً. وقد عثر في المملكة على مجموعة من كتابات العصر الأموي بالقرب من مكة والطائف والمدينة المنورة والجوف ومدائن صالح، معظمها نقوش صخرية. فمن هذه الكتابات نصان تأسيسيان لإنشاء سد في شمال شرق الطائف، وآخر بالقرب من المدينة المنورة. أما النقوش الأخرى فهي من طراز النقوش التذكارية لطلب المغفرة والدعاء وتأكيد الإيمان بالله. ولم يكتشف في المملكة أي نقوش مكتوبة على مواد أخرى، عدا بعض المسكوكات الأموية، وإن كنا نركّز هنا لكتابات العصر الأموي على النقوش الصخرية فقط. ومن أحدث النقوش الأموية المكتشفة تلك

التي عثر عليها بالقرب من مكة المكرمة، وتشتمل، في معظمها، على نصوص قرآنية، مثل نقش عبدالله بن عمارة المؤرخ سنة ٨٤هـ ونقش أبي جعفر بن حسن الهاشمي المؤرخ سنة ٩٨هـ، ويشتمل على بيتين من الشعر الجاهلي. وقد عثر بموقع العسيلة شمال مكة على بعض النقوش المؤرخة من الفترة الأموية، منها نقشان مؤرخان سنة ٨٠هـ باسم عثمان بن وهرن (وهران) ونقش أمية بن عبد الملك المؤرخ سنة ٩٨هـ. فالكتابات الأموية المؤرخة، التي تعود للفترة الواقعة بين سنتي (٤٠-١٣٢هـ) وهي المتقاة في هذا العرض، عُرفت بأنها كتبت بالخط الحجازي الذي يمتاز بمرونة أشكال الحروف وميلها للاستدارة وتناسق حروف الكلمة الواحدة، إضافة إلى أن بعض هذه النقوش، مثل نقش سد معاوية المؤرخ بسنة ٥٨هـ ونقش عفير بن المضارب المؤرخ بسنة ٨٣هـ، أظهرت استخدام نقط الإعجام المستديرة وهذه ميزة اختصت بها نقوش الحجاز لأن نقش سد الطائف يعد أقدم النقوش الإسلامية التي استخدم فيها نقْط الإعجام.

ونورد فيما يلي نماذج من الكتابات الأموية المؤرخة المكتشفة في المملكة العربية السعودية.

أ) نقش الخشنة:

عثر على هذا النقش على بعد ٦ كم شمال شرق البرود، إحدى محطات طريق درب زبيدة شمال غرب منطقة

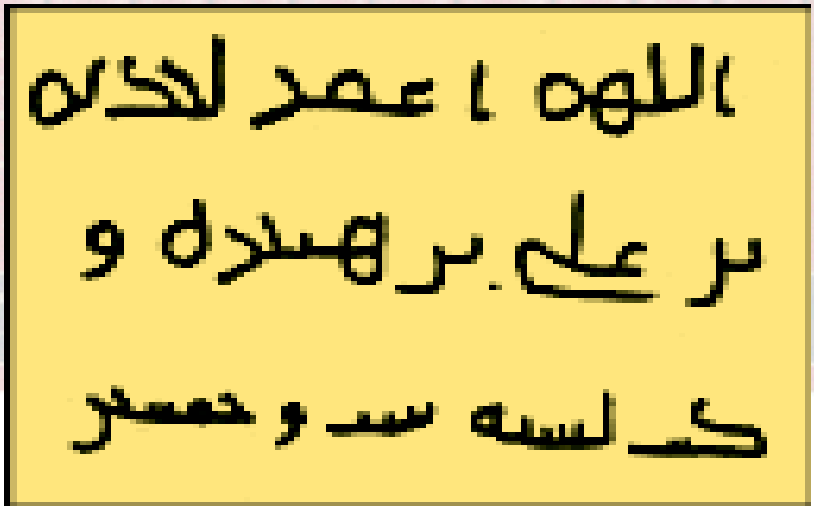

صورة مفرغة لنقش الخشنة، مؤرخ بعام ٥٦هـ

الشرائع بمكة المكرمة. والنقش من ثلاثة أسطر ومؤرخ لسنة ٥٦هـ وكتب بخط حجازي. ويمتاز بأن أشكال حروفه تميل للاستدارة.

قراءة النقش:

١) اللهم اغفر لحدبة

٢) بن علي بن هبيرة و

٣) كتب لسنة ست وخمسين

ب) نقش سد معاوية:

عثر على هذا النقش التأسيسي محفوراً على صخرة كبيرة طولها ٢م وعرضها ١,٩م بالقرب من سد أثري يقع إلى الشمال الشرقي من مدينة الطائف على بعد ٢٠ كم. ويتكون النقش من ستة أسطر، ومؤرخ لسنة ٥٨هـ وكتب بخط حجازي مزوى. وهذا النقش ذو أهمية كبيرة لأنه يعد أهم النقوش المكتشفة في المملكة حتى الآن. وتنبع هذه الأهمية من عدة جوانب: أولها أن هذا النقش هو أقدم النصوص الإسلامية التأسيسية الذي يرتبط بمنشأة معمارية (سد)، وثانيها نص النقش حيث أن باني السد هو معاوية بن أبي سفيان أول خلفاء بني أمية، وهذا يظهر اهتمام معاوية بن أبي سفيان بتشييد المنشآت المائية في الحجاز خلال هذه المرحلة المبكرة من تاريخ بني أمية. وثالثها أهمية النقش في دراسة تطور الكتابات الإسلامية، فهذا النقش يعد رابع أقدم نقش مؤرخ في العالم الإسلامي بعد شاهد قبر أسوان (٣١هـ) ونقش عبدالرحمن بن خالد بن العاص (٤٠هـ)، ونقش الخشنة (٥٦هـ). ورابعها استخدام نقط الإعجام في هذا النقش لأول مرة.

قراءة النقش:

١) هذا السد لعبدالله معاوية

صورة مفرغة لنقش سد معاوية،
مؤرخ بعام ٥٨ هـ – الطائف

٢) أمير المؤمنين بانيه عبدالله بن صخر
٣) باذن الله لسنة ثمان وخمسين ا
٤) للهم اغفر لعبد الله معاوية ا
٥) مير المؤمنين وثبته وانصره ومتع ا
٦) لمؤمنين به كتب عمر بن خباب (جناب)

وتجدر الإشارة إلى أن سعد الراشد عثر على نقش تأسيسي مهم لمعاوية بن أبي سفيان على سد وادي الخنق إلى الجنوب الشرقي من المدينة المنورة، ويعد السد والنقش من الإضافات التي توضح الدور الحضاري الذي قام به الخليفة معاوية بن أبي سفيان في الحجاز.

جـ) نقش عفير بن المضارب:

عثر على هذا النقش في منطقة الأقرع على مسافة ٥كم جنوب محطة قطار المطلع، إحدى محطات سكة حديد الحجاز شمال مدائن صالح. والنقش من أربعة أسطر ومؤرخ بسنة ٨٣هـ وكتب بخط حجازي. وأهم ما يميز هذا النقش خطه المستدير اللين، واستخدام نقط الإعجام في بعض حروف كلماته، مثل: الباء والتاء والجيم والضاد والياء. وهذا النقش مع نقش الخشنة وسد معاوية تمثل نماذج لما كانت عليه الكتابة الحجازية في العصر الأموي، إذ إن ظهور الخط الكوفي لم

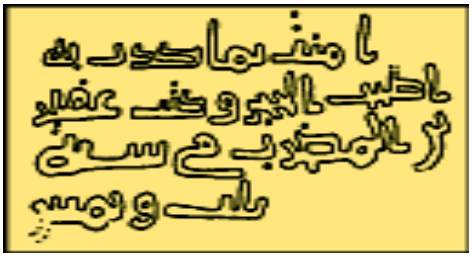

صورة مفرغة لنقش عفير بن المضارب في موقع الأقرع في طريق الحج الشامي

يؤثر على استمرار الكتابة الحجازية المائلة للاستدارة.

قراءة النقش:

١) امنت بما كذب به
٢) اصحب (أصحاب) الحجر وكتب عفير
٣) بن المضارب في سنة
٤) ثلث (ثلاث) وثمنين (ثمانين)

د) نقش رباح بن حفص بن عاصم:

عثر على هذا النقش ضمن مجموعة كبيرة من النقوش في موضع رواوة إلى الجنوب الغربي من المدينة المنورة، وتبعد حوالي ٥٠كم من المسجد النبوي الشريف. والنقش من ثمانية أسطر ومؤرخ لسنة ٩٦هـ. وهو غير واضح تماماً، إذ إن واجهة الصخر المكتوب عليها النقش تأثرت بعوامل التعرية فأضحت بعض أحرف النقش غير واضحة. ويمتاز هذا النقش، إلى جانب خطه الحجازي، بأن الشخصية الواردة فيه، رباح بن

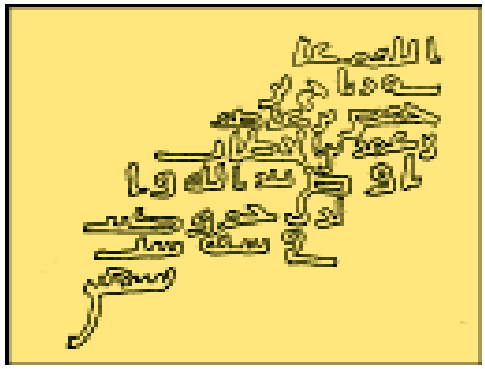

صورة مفرغة لنقش رباح بن حفص بن عاصم
مؤرخ بعام ٩٦هـ رواوة – المدينة المنورة

حفص بن عمر بن الخطاب من الشخصيات المعروفة، وقد ذكرت كتب الطبقات أنه أحد الرواة المحدثين، وأن رباحاً هو لقبه، واسمه عيسى بن حفص بن عاصم بن عمر بن الخطاب العدوي أبو زياد. وتوفي صاحب هذا النقش سنة سبع وخمسين ومائة عن عمر بلغ ثمانين سنة.

قراءة النقش:

١) اللهم عا
٢) في رباح بن
٣) حفص بن عاصم
٤) بن عمر بن الخطاب
٥) أوحى (سد) الله وا
٦) لرحم وكتب
٧) في سنة ست
٨) (و) وتسعين

هـ) نقش أبي سلمة بن عبيدالله:

عثر على هذا النقش في موضع رواوة أيضاً. ويتكون النقش من أربعة أسطر ومؤرخ بسنة ١٠٠هـ. وكتب بالخط المدني الحجازي. ويشبه خط النقش إلى حد بعيد مجموعة كتابات جبل سلع حيث تظهر بعض حروفه ممدودة وتميل إلى الاستدارة.

قراءة النقش:

١) امن ابو سلمه بن عبيد
٢) الله بن عبدالله بن عمر

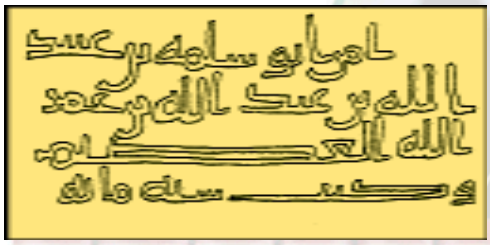

صورة مفرغة لنقش أبي سلمة بن عبيدالله،
المؤرخ بعام ١٠٠هـ رواوة – المدينة المنورة

٣) بالله العظيم
٤) وكتب سنة مايه

و) نقش الحارث بن صاغر:

عثر على هذا النقش على الواجهة الصخرية لجبل النيصة على مسافة ١٢كم شمال شرقي محافظة دومة الجندل بمنطقة الجوف. والنقش من تسعة أسطر ومؤرخ سنة ١٢١هـ. وكتب هذا النقش بالخط الكوفي البسيط، وهو أمرٌ ربما يعكس

مدى انتشار هذا الخط خلال نهاية العصر الأموي خارج الحجاز. وأهمية هذا النقش في حسن خطه، وبأنه مؤرخ سنة ١٢١هـ، إضافة إلى أنه يُعد أقدم ما عثر عليه حتى الآن من كتابات إسلامية في شمال المملكة. وقراءة النقش:

١) بسم الله الرحمن الرحيم
٢) اللهم اغفر للحارث
٣) بن صاغر ما تقدم من ذ
٤) نبه وما تاخر امين ثم ا
٥) مين رب محمد وا
٦) براهيم رب العالمين و
٧) كتب في وحدة و
٨) عشرين وماية سنة
٩) ان الحكم لله

من خلال هذا العرض السريع لبعض الكتابات الأموية تبدو لنا الأهمية الكبيرة لنقوش الجزيرة العربية في دراسة تطور الخط العربي خلال العصر الإسلامي المبكر. ذلك أن مجموعة النقوش الأموية المكتشفة حتى الآن في المملكة تمثل أكبر مجموعة من الكتابات الأموية على مستوى العالم الإسلامي، وهذا ليس بمستغرب إذا أخذ في الحسبان الدور الذي أدته الجزيرة العربية في تطور الكتابة خلال فترة صدر الإسلام وانتشار التعليم والكتابة بين أوساط سكان الجزيرة العربية. وإضافة إلى ذلك فإن الحجاز كان -وما يزال- البقعة التي تهفو إليها قلوب المسلمين في جميع أصقاع الأرض، ومن ثمّ خلف المسلمون الذين كانوا يفدون إلى الحجاز للعمرة وللحج مجموعة كبيرة من الكتابات الإسلامية.

الكتابات في العصر العباسي

أثمرت الدراسات والبحوث الأثرية في المملكة عن كشف وتسجيل مئات من النصوص الكتابية التي يعود تاريخها، أو يمكن إعادة تواريخها، إلى الفترة العباسية بمراحلها الثلاث. ويمكن تصنيف الكتابات والنقوش المكتشفة في ثلاث فئات، هي: الكتابات التأسيسية، والكتابات الشاهدية، والنقوش الصخرية. ولا يدخل ضمن هذا العرض الموجز المخطوطات بمختلف أنواعها.

الكتابات التأسيسية. يوجد عدد ليس بالقليل من الكتابات التأسيسية التي توثق لإقامة المنشآت العامة والمرافق التي تهم المسلمين، التي أمر بإنشائها الخلفاء والأمراء والوزراء وفاعلو الخير في العصر العباسي. وتُشكل هذه الكتابات مصادر مهمة لتحديد تاريخ إنشاء أو ترميم أو إعادة بناء تلك المباني. وتتركز

هذه الكتابات التأسيسية التي عثر عليها، في منطقة الحجاز، خاصة في مكة المكرمة. وبعضها مؤرخ وبعضها لا يحمل تأريخاً ولكن يستدل على تاريخها من الأسماء الواردة فيها، ومن ذلك نقشان تأسيسيان لعمارة مسجد البيعة بمنى، حيث يوجد لوحان حجريان من الرخام، أحدهما عليه نص من خمسة عشر سطراً محفورة حفراً غائراً، والنقش غير مؤرخ ولكن تأريخه يعود لعصر الخليفة أبي جعفر المنصور الذي أنشأ المسجد سنة ١٤٤هـ. ويصل حجم الحجر الذي عليه النقش حوالي

نقش بمسجد البيعة بمنى

٩٦×٥٨سم. ويقُرأ النص على النحو التالي:

١) بسم الله الرحمن الرحيم أمر عبد
٢) [ا] لله عبدالله أمير المؤمنين اد
٣) [ا] مه الله ببنيان هذا المسجد
٤) مسجد البيعه التي كانت أول بيعه
٥) بويع بها رسول الله صلى الله عليه
٦) [و] سلم أو [ل] عقد عقده الله للا
٧) سلام عقد عقده له العباس بن
٨) عبد المطلب تلك الليله -هكذا- لرسول
٩) الله صلى الله عليه على الأنصار في
١٠) هذا المسجد أن يصدقوا رسو
١١) ل الله بما جاهم به من الله وا
١٢) ن يسمعوا له ويطيعوا ويمنعوه مما
١٣) يمنعوا منه أنفسهم وأبناهم أعظم
١٤) الله أجر امير المؤمنين على بنيانه في عمرا
١٥) نه اياه -هكذا- رسول الله صلى الله عليه وسلم

أما اللوح الحجري الآخر فيصل حجمه إلى حوالي ٦٠×٤٤سم، وعليه نقش محفور حفراً غائراً من تسعة أسطر، ويقرأ على النحو التالي:

١) هذا ما امر عبد الله عبد
٢) امير المومنين أكرمه الله
٣) ببنيان مسجد البيعه لحاج

صورة مفرغة للنقش السابق بمسجد البيعة بمنى

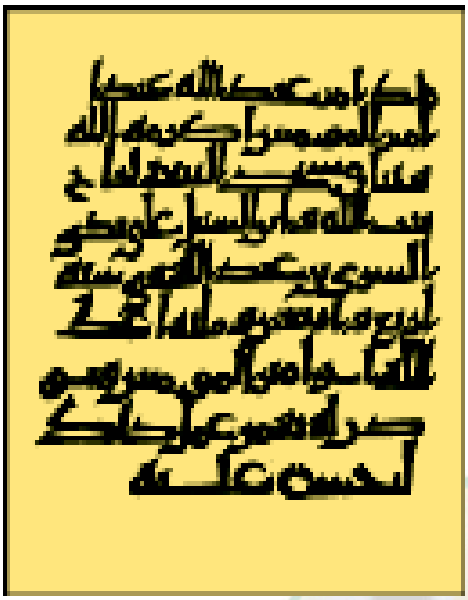

صورة مفرغة لنقش آخر بمسجد البيعة بمنى

٤) بيت الله وابن السبيل على يدى
٥) السرى بن عبدالله في سنة
٦) اربع واربعين ومائة أعظم
٧) الله أجر امير المومنين فيما
٨) اذن له به من عمل صالح
٩) احسن -هكذا- عليه

ومنها نقش تأسيسي لحفر بئرين لأبناء السبيل في منتصف القرن الثاني الهجري، وكُتب هذا النقش على لوح حجري جرانيتي (١١٠×٤٧سم) عثر عليه في نخلة الشامية بالشرائع بمكة المكرمة، وهو محفوظ في متحف قسم الحضارة بجامعة أم القرى. ويتكون النقش من أحد عشر سطراً، وكتب بخط كوفي مزوي. ويفيد النص المكتوب بأن سليمان بن مهران حفر بئرين وجعلهما صدقة على أبناء السبيل.

ومنها أربعة نقوش تأسيسية في الحرم المكي الشريف من عهد الخليفة المهدي العباسي ويشاهد زوار الحرم المكي حتى اليوم أربعة نصوص منقوشة بالحفر البارز على أربعة أعمدة أسطوانية الشكل في الجهة الجنوبية من الحرم المكي الشريف في الجهة المطلة على صحن الكعبة بالقرب من شرفة المؤذنين. ويرد في هذه النقوش ذكر الخليفة المهدي العباسي، وعلى أحدها جاء ذكر الوزير يقطين بن

موسى وإبراهيم بن صالح بـن علي بن عبدالله بن العباس. ووجود هذه النقوش في تلك الجهة من الحرم المكي الشريف ما هـو إلا توثيق لإقـامة الأسطوانـات وتوسعة الطريق الذي كان يسلكه الرسول صلى الـله عليـه وسلم من الحرم إلـى الصفا. وتلك الأعمال كانت من عمل أهل الكوفة.

وأحد هذه النقوش من ١٥ سطراً، كتبت بالخط الكوفي البارز من دون نقط أو شكـل. ويُقرأ النـقش على الـنحو التالي:

١) بسـم اللـه الرحمـن الرحيم
٢) امر عبدالله محمد
٣) المهدي أمير المومنين
٤) حفظه الله باقامة هاتين
٥) الاسطوانتين علما لطريق
٦) رسول الله صلى الله عليه
٧) وسلم الى الصفا ليتاسا
٨) به حاج بيت الله وعماره
٩) اعظم الله اجر المهدي
١٠) أمير المؤمنين وأطال بقاه
١١) على يدي يقطين بن
١٢) موسى وابراهيم
١٣) بن صالح في سنة
١٤) سبع وستين ومائه
١٥) مما عمل اهل الكوفة

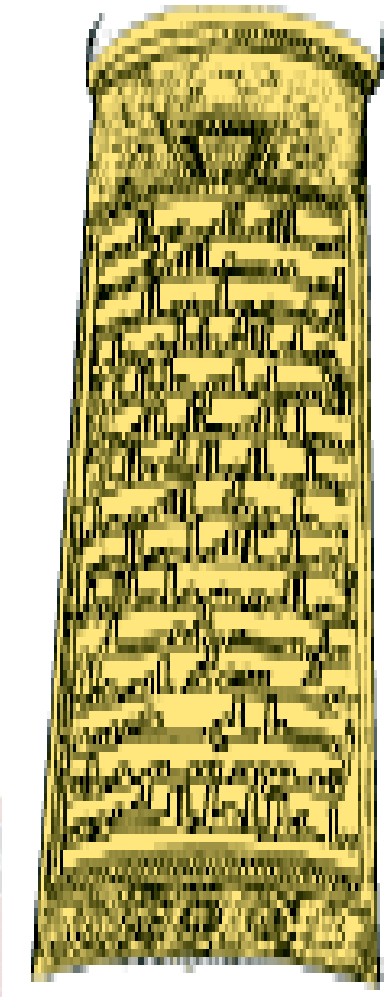

صورة مفرغة لنقش تأسيسي في عمارة الحرم المكي الشريف، مؤرخ بعام ١٦٧هـ

ويدخـل في الكتـابات التأسـيسية الأحجار الميلية التـي تحدد المسافات بين البلدان، وقد عثر حتى الآن على خمسة أحجار منها تـعود إلى العصر العباسي المبكر، توضح المسافة على طول طريق الحج من العراق إلى مكة. وتحدد المسافة

حجر ميلي -درب زبيدة

على هذه الأحجار بوحدة قياس الميل والبريد. وأحد هذه الأميال عثر عليه في حفائر الربذة وقد كتب عليه «عشرة أميال من البريد».

غير أن أهم حجر مسافة بين هذه المجموعة هو الحجر الذي تحتفظ به بلدية جدة، وهو يجمع بين نقش تأسيسي وحجر مسافة. ويرد فيه اسم الخليفة المهدي العباسي ووزيره يقطين بن موسى، الذي أشرف على عمارة طريق الكوفة -مكة المكرمة- لمدة عشر سنوات. كما يرد في هذا النقش ذكرُ أحد مراكز البريد وهو بريد أسود العشاريات.

ومنها حجر تأسيسي لإصلاح طريق الحج في عهد الخليفة المقتدر بالله سنة ٣٠٤هـ. وعُثر على هذا النقش في النفايات القديمة لمهد الذهب (معدن بني سليم)، ويتكون من ١٢ سطراً منقوشة بالحفر الغائر. ويفيد النقش بأن

حجر ميلي عثر عليه في الربذة – درب زبيدة

حجر تأسيسي من عهد الخليفة المهدي، يحوي تحديداً للمسافة بالأميال – درب زبيدة

حجر تأسيسي، مؤرخ بعام ٣٠٤هـ – درب زبيدة

الخليفة المقتدر بالله أمر وزيره أبا الحسن علي بن عيسى بعمارة طريق الجادة لحجاج بيت الله رجاءً في ثواب الله. كما يرد في النقش أسماء ثلاث شخصيات أشرفت على عمارة الطريق. والنقش مؤرخ بسنة ٣٠٤هـ.

ومنها حجر تأسيسي لعمارة مسجد أم المؤمنين عائشة بالتنعيم مؤرخ بسنة ٣١٠هـ. ويُعد من النصوص التأسيسية المهمة، وهو حجر بازلتي كبير (٧٧×٣٦سم) عليه تسعة أسطر تحمل أمراً من الخليفة عبدالله جعفر الإمام المقتدر بالله بعمارة مسجد عائشة $ زوج النبي ﷺ. وأن البناء أنجز على يدي شجى مولاة أمير المؤمنين في سنة عشر وثلاثمائة.

وعثر أيضاً على ثلاثة أحجار عليها نقوش تأسيسية لعمارة عين عرفة ومصانعها، محفورة حفراً بارزاً. ومجموع سطورها حوالي ٤٠ سطراً.

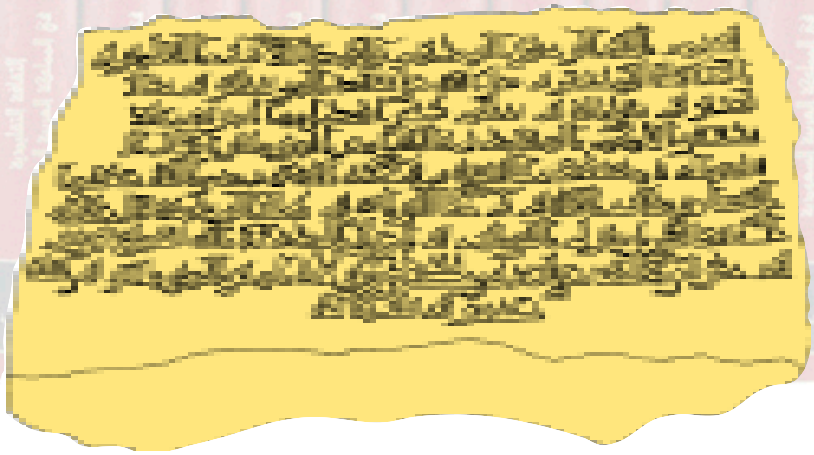

صورة مفرغة لنقش على حجر تأسيسي في عمارة مسجد أم المؤمنين عائشة، مؤرخ بعام ٣١٠هـ التنعيم – مكة المكرمة

وتوضح النصوص المنقوشة المراحل التي قام بها الخليفة أبو العباس أحمد الناصر لدين الله في عمارة عين عرفة ومصانعها، خدمة لحجاج بيت الله الحرام. وتقع تواريخ هذه النقوش التأسيسية في السنوات: ٥٨٣هـ، ٥٨٤هـ، ٥٩٤هـ.

وهناك نقوش تأسيسية أخرى عثر عليها في مكة. منها نقش تأسيسي لوقف رباط المراغي سنة ٥٧٥هـ، ونقش تأسيسي لوقف رباط المغاربة، ونقش تأسيسي لعمارة مدرسة وميضأة وسقاية أنشأها مظفر الدين كوكبوري صاحب أربل سنة ٦٠٥هـ. ومن النقوش التأسيسية الأخرى نقش مؤرخ بسنة ٦١٩هـ يوثق لعمارة مسجد أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بالتنعيم بأمر السلطان صلاح الدين يوسف (الملك المسعود).

صورة مفرغة لنقش تأسيسي لعمارة عين عرفة ومصانعها، مؤرخ بسنة ٥٨٤هـ

ومن النقوش التأسيسية المهمة المكتشفة خارج مكة المكرمة، ذلك النقش الذي اكتشف في موقع عشم المؤرخ بسنة ٤١٤هـ. ويوثق هذا النقش أن من عمر مسجد عشم هو الأمير يعلى بن عبدالله بن عويد.

الكتابات الشاهدية. أثمرت الدراسات الأثرية الحديثة في كشف عدد كبير من النقوش على شواهد القبور المنتشرة في مواقع مختلفة من أرجاء المملكة وتوثيقها. فبعض الكتابات الشاهدية محفوظة ضمن مجموعات متحفية منقولة أو باقية في مواقعها الأصلية. وهناك مئات من الشواهد لم تجد طريقها للدراسة والتوثيق. وكانت مقابر المدن الكبيرة والمنازل مليئة بالنقوش الشاهدية، مثل مكة والطائف والمدينة ومواضع أخرى متفرقة، مثل مخلاف عشم

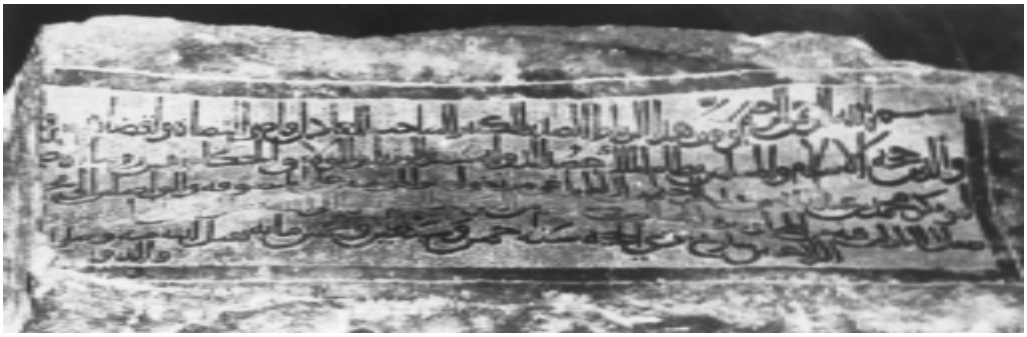

نقش رباط المراغي، مؤرخ بعام ٥٧٥هـ

والسرين والربذة وبدر وغيرها من المواضع. فالنقوش الشاهدية -لا شك- تتضمن معلومات تاريخية وحضارية مهمة. فنجد في نصوصها معلومات عن المتوفين، رجالاً ونساء، وتواريخ وفياتهم المحددة أحياناً باليوم والشهر والسنة. إضافة إلى أنها تعرفنا أيضاً بالانتماء القبلي أو العائلي لشخصية المتوفى، أو الإشارة إلى مدينته أو بلدته التي جاء منها، أو إلى وظيفته التي اشتهر بها أو كنيته.

شاهد قبر منقوش باسم جعدة بنت ياسر، مولى كلاب بن محمد الهزاني، مؤرخ بعام ٤٠٣هـ موقع السرين – مكة المكرمة

وتشتمل الشواهد أيضاً على آيات قرآنية وأدعية مأثورة لطلب المغفرة والرحمة والتوبة للشخص المتوفى، كما أن الكثير من الأحجار الشاهدية نفذت فيها أساليب هندسية وزوّقت حروف النصوص بأنماط وعناصر زخرفية متنوعة توضح لنا التطور الفني والرقي الحضاري لخطاطي هذه الشواهد وصنّاعها.

وبين أيدينا عدد من شواهد القبور التي عثر عليها في مكة والطائف وعشم والأحسبة والسرين، ومواضع متفرقة من منطقة الحجاز. ويصعب تحديد أقدم

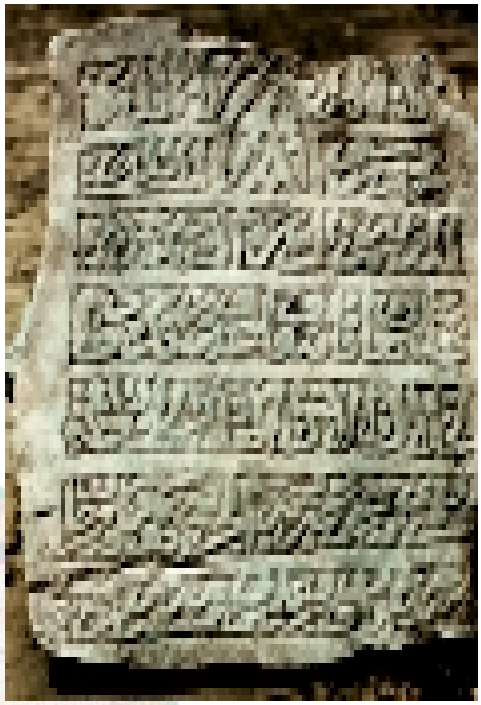

شاهد قبر محفور، مؤرخ بعام ٨٦٨هـ
مدينة جازان العليا

الكتابات الشاهدية في العصر العباسي، لأن المبكر منها غير مؤرخ، مع أنه بالإمكان تحديد تواريخ كتابتها تقريباً من واقع دراسة أسلوب الخط والفترة التاريخية للموضع الذي عثر فيه على تلك الشواهد.

ويمكن إعطاء أمثلة لبعض الأحجار الشاهدية على النحو التالي:

أولاً: شاهد قبر من منطقة بني سليم (القرن ٢-٣هـ/ ٨-٩م) نصُّه:

١) بسم اله الرحمن الرحيم
٢) لا إله إلا الله محمد رسول
٣) الله صلى الله على المصطفى
٤) وعلى اله وسلم تسليما
٥) اللهم يارحمن يارحيم
٦) ارحم محمد بن اسحاق
٧) بن سليمن بن سالم يا
٨) جواد

ثانياً: شاهد قبر من قرية عشم (مؤرخ بسنة ٢٦٢هـ) نصّه:

١) بسم الله الرحمن الرحيم
٢) شهد الله انه لا اله
٣) الا هو والملائكة واو
٤) لو العلم قائما بالقسط
٥) لا اله الا هو العزيز الحكيم
٦) هذا قبر عبدالله بن
٧) داود بن سعيد
٨) رحمه الله توفى سنة
٩) اثنين وستين
١٠) ومائتين والسلام

وكتب في الجزء العلوي من الإطار (نقش احمد الحفار).

ثالثاً: شاهد قبر من منطقة مكة المكرمة (القرن ٣هـ/ ٩م) جاء فيه:

١) بسم الله الرحمن
٢) الرحيم اللهم
٣) إذا جمعت الا
٤) ولين والاخرين
٥) لميقات يوم معلو
٦) م فاجعل يزيد

٧) بن عبد الحكيم بن
٨) ابرهيم الطائفي من
٩) رفقاء محمد النبي في
١٠) جنات النعيم

رابعاً: شاهد قبر من المابيات منطقة العـلا (القرن ٣-٤هـ/ ٩-١٠م) يقـرأ كالآتي:

١) بسم الله الرحمن الرحيم
٢) هذا قبر حازم عبدالله
٣) بن ابراهيم بن الفضل بن أبي ح
٤) زم رحمه الله ...
٥) وزكا(٥)

وهنـاك أمثلة كـثيرة مـن الأحجار الشاهدية المؤرخـة وغير المؤرخة، وهي كما ذكرنا تعد مصدراً مهماً لدراسة تاريخ الإسلام وحضارته في الجزيرة العربية.

النقـوش الصخريـة. تشكل الـنقوش الصخريـة مادة وثائقية مهـمة في العصر العباسي. وتنتـشر الكتابات المنقورة على الصخور في مناطق مـتفرقة من المملكة، فمنـها ما نجده علـى امتداد طرق الحج، ومنها ما نجده في المناطق القريبة من مكة المكرمة والطـائف والمدينة المنورة ومناطـق الحرار، مـثل: حرة فـدك وخيبـر وحرة رهاط، وفي المناطـق الصخرية في الدرع العـربي فـي شمـال المملـكة ووسـطهـا وجنوبها، مثل تبوك والعلا وحائل والقصيم والقـويعية وأبـها والباحـة، وكذلك فـي

كتابات إسلامية من وادي حرزة – المدينة المنورة

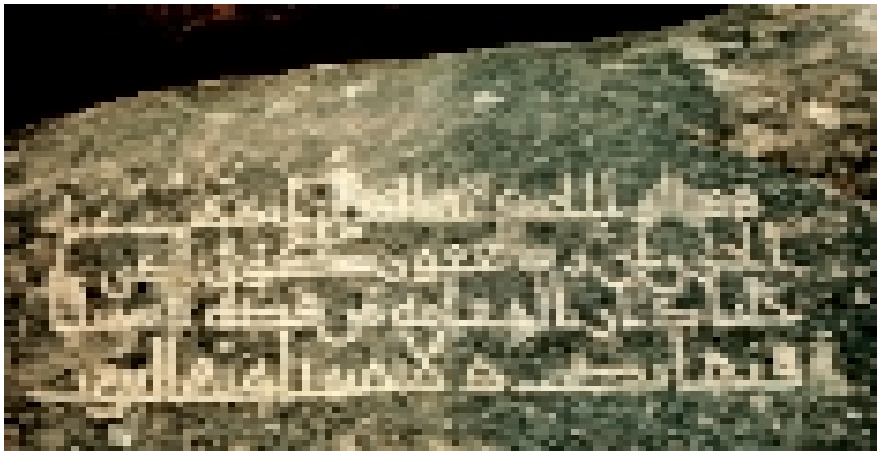

كتابات إسلامية من ضرية – منطقة القصيم

الواحات الصحراوية وعلى ضفاف الأودية، مثل منطقة الصويدرة. وبعض تلك النقوش كتبها إما السكان المقيمون، أو المارة القادمون للحج والعمرة والتجارة. ونجد في بعض مجموعات النقوش التي عثر عليها تسلسلاً للفترات التاريخية، حيث تبدأ من القرن الأول الهجري حتى الفترات المتأخرة من العصر العباسي. ومعظم النقوش الصخرية أدعية لطلب المغفرة والرحمة والعفو والتوبة، أو طلب الثقة بالله للشخصيات الواردة أسماؤها في النصوص المكتوبة. ونجد بعضها ينتهي بعبارة: وكتب فلان، وأحياناً تكون مؤرخة.

وقد لا تكون هذه النقوش بمستوى الكتابات الشاهدية (شواهد القبور) من حيث جودة الخط وتنميق الحروف وتزويقها، ولكنها مع ذلك لا تخلو من دقة في فن الخط، ومهارة في تنفيذ النصوص، ولمسات هندسية وتحكم في المساحة المتاحة للكتابة على الواجهات الصخرية. ولعلّ من المناسب إعطاء أمثلة من النقوش الخطية التي عثر عليها في بعض مناطق المملكة.

أ) نقش من «رواوة» المدينة المنورة (مؤرخ بسنة ١٤٠هـ) جاء فيه:

١/ انا منصور ابن عطا ابن

٢/ ربيعه امنت بالله ورسوله

٣/ وكتب سنة اربعين وميه

ب) نقش من نقع بني مر: طريق الحج المصري (مؤرخ بسنة ١٤٢هـ) نصُّه:

١/ انا الوليد بن كثير

٢/ البربري من أهل طنجه

٣/ حج سنة اثنين وأربعين ومايه

نقش مؤرخ بعام ١٤٠هـ –رواوة – المدينة المنورة

٤/ وهو يسال الله المغفرة

جـ) نقش من قرية الصمخ بمنطقة بيشة (القرن ١-٢هـ) يقول:

١/ اللهم ابعث سليمان بن سعود واياس

٢/ بن يسار وسعد بن أبي هند مقا

٣/ ما محمودا في رضوانك امين

٤/ رب العالمين

د) نقش من الصويدرة (مؤرخ سنة ٢٠٥هـ) يقرأ كما يأتي:

١/ اللهم صلي على محمد

٢/ مرَّ احمد بن ايوب

٣/ الاهوازي ومعه ولد

٤/ الفضيل بن إبراهيم سنة

٥/ خمس ومائتين.

هـ) نقش من الحويط / حرة فدك (القرن ٢-٣هـ) كتب فيه:

١/ يامنتصرا

٢/ لعبد ضعيف

٣/ ورب غفو

٤/ ر رحيم.

الكتابات في العصر المملوكي

تمتاز الكتابات في العصر المملوكي بأنها تتركز في منطقة الحجاز في المدينتين المقدستين، مكة المكرمة والمدينة المنورة على نحوٍ خاص. ومعظم النصوص الكتابية المكتشفة لوحات تأسيسية تتعلق بعمارة الحرمين الشريفين والمرافق العامة، كالمساجد والأربطة والعيون، وبعضها مراسيم سلطانية بإبطال المكوس، وبعضها رنوك وهي شارات معدنية تحوي رموزاً أو كتابات مختصرة متداخلة، عليها أسماء السلاطين.

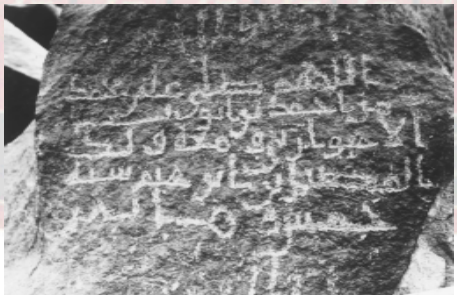

نقش مؤرخ بعام ٢٠٥هـ
الصويدرة – المدينة المنورة

وهناك أمثلة عديدة من النصوص الكتابية ما تزال باقية داخل الحرم المكي الشريف. منها -على سبيل المثال- مرسوم سلطاني بإبطال المكوس منقوش بالخط البارز على عشرة أعمدة رخامية متفرقة في بابي الزيارة والصفا تعود إلى عهد السلطان شعبان بن حسين بن الناصر محمد بن قلاوون، ومؤرخة في يوم الإثنين الثالث من جمادى الأولى سنة ٧٦٦هـ. والملاحظ أن هذا المرسوم يتكرر على أكثر من عمود، ويصل عدد أسطر النص إلى ٢٩ سطراً بحيث قسم النص على عمودين. وكتب النص بخط الثلث، ويتضمن إبطال سائر المكوس عن مكة المكرمة على جميع الأصناف التي بها والواردة إليها على اختلاف أنواعها، وعلى ما يباع بأسواقها من المأكول والمشروب والنيئ والمطبوخ وجميع الحبوب من الحنطة والسيال والذرة والدخن والحمص والأرز والعدس والشعير والدقيق، والحيوانات من الأبقار والأغنام والجمال، وما يصل إليها في البر والبحر وساير المشاعر العظام. ونجد في النص عدداً من الألقاب والوظائف مع وجود عناصر زخرفية مكونة من ورود وفروع نباتية ووريقات زخرفية.

وفي متحف الحرم المكي الشريف عدد كبير من اللوحات التأسيسية مؤرخة في عهد عدد من السلاطين، ومنها:

- لوح تأسيسي لعمارة مئذنة الحزورة سنة ٧٧٢هـ.
- لوح تأسيسي لعمارة مقام الحنفية سنة ٨٠١هـ.
- لوح تأسيسي لعمارة باب الحزورة سنة ٨٠٤هـ.
- لوح تأسيسي لعمارة باب النبي سنة ٨٢٥هـ.
- لوح تأسيسي لعمارة إحدى مآذن الحرم سنة ٨٣٨هـ.
- لوح تأسيسي لعمارة بعض الأعمدة سنة ٨٥٢هـ.
- لوح تأسيسي لعمارة المقام سنة ٨٥٨هـ.
- (رنك) مكتوب من عهد السلطان قايتباي.
- لوح تأسيسي لعمارة مقام إبراهيم سنة ٩١٥هـ.
- لوح تأسيسي لعمارة عين عرفة سنة ٨٧٥هـ في عهد السلطان قايتباي.
- لوح تأسيسي لعمارة مسجد الإجابة بمكة المكرمة سنة ٨٨٩هـ في عهد السلطان قايتباي.

نص تأسيسي خلف المحراب النبوي في المسجد النبوي الشريف، مؤرخ بسنة ٨٨٨هـ في عهد السلطان قايتباي.

ومن النقوش التأسيسية التي عرفت في المدينة المنورة ذلك النص الذي كان مثبتاً على مدخل رباط مظفر في حارة الأغوات، وقد كتب بخط الثلث الغائر ومؤرخ بسنة ٧٠٦هـ في عهد السلطان المملوكي الناصر محمد بن قلاوون. ويمكن إعطاء المثال التالي لأحد النصوص الكتابية من العصر المملوكي:

لوحة تأسيسية لعمارة مئذنة الحزورة جاء فيها:

١) امر بعمارة هذه المئذنة الشريفة بعد انهدامها وذهاب اثارها مولانا السلطان المالك.

٢) الملك الاشرف ناصر الدنيا والدين شعبان بن حسين اعز الله انصاره وضاعف اقتداره.

٣) وذلك بمباشره العبد الفقير الى الله تعالى علي بن محمد المعروف بابن كلفك وكان مهندسها والحاج علي الاقباعي في شهر المحرم اثنين وسبعين وسبعمائة وصلى الله على محمد.

ومن المواد الأخرى التي نجد عليها كتابات توثيقية من العصر المملوكي المفاتيح التي كانت تصنع لباب الكعبة الشريفة. وهذه المفاتيح مصنوعة من النحاس الأصفر ومكفتة بالفضة وحفرت على جوانب المفاتيح بخط الثلث البارز آيات قرآنية وأسماء لسلاطين المماليك وتواريخ صناعة تلك المفاتيح وتزين المساحات

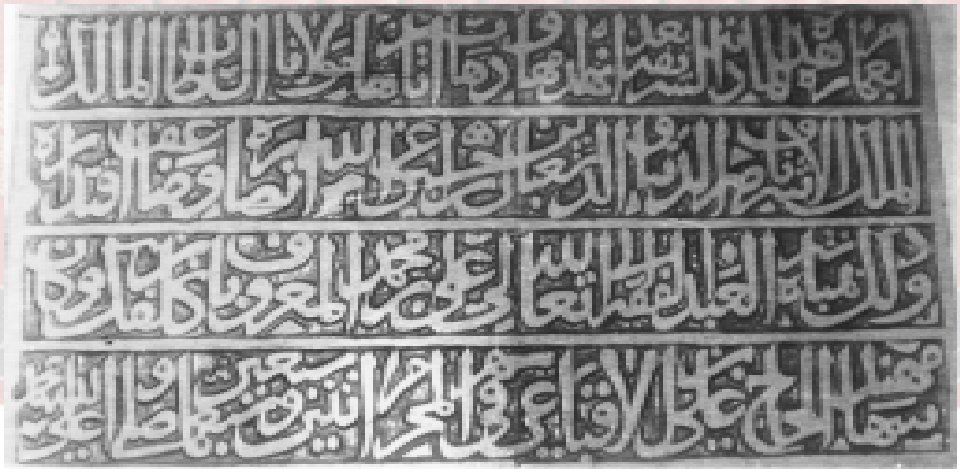

نقش يؤرخ لعمارة مئذنة الحزورة بالحرم المكي الشريف في سنة ٧٧٢هـ، في عهد السلطان المملوكي الأشرف شعبان

الضيقة أشكال من ضفائر وفروع نباتية صغيرة. وغالبية هذه المفاتيح محفوظة في متحف طوب قبو سراي باستنبول، وبعضها في متحف الفن الإسلامي.

ونجد التواريخ على بعض هذه المفاتيح تتراوح ما بين سنة ٦٥٩-٦٦٠هـ وحتى سنة ٨٠٤هـ، وتغطي فترات حكم الظاهر بيبرس، والسلطان الصالح عماد الدين إسماعيل، والسلطان حسن بن محمد، والسلطان برقوق.

الكتابات في العصر العثماني

شهدت الفترة العثمانية ازدهار الكتابة التوثيقية وتطورها على المشاريع التي كان يقيمها سلاطين بني عثمان أو الأمراء والوزراء والقادة والولاة. ومن الإنجازات التي تمت في هذه الفترة التجديدات والإصلاحات المتعلقة بالمدينتين المقدستين مكة المكرمة والمدينة المنورة والمشاعر المقدسة والمرافق العامة من مساجد وخانات ومنشآت مائية وقلاع وحصون.

ومعظم هذه المشاريع كانت توثق على الأحجار والأعمدة الحجرية والبلاطات المعمارية والخشب والمعادن، بالإضافة إلى انتشار الرنوك في تلك المباني وعلى وجه الخصوص في الحرم المكي الشريف والمسجد النبوي.

وهناك أمثلة من الأحجار الشاهدية المنقوشة في الحجاز في العصر العثماني.

وتشتمل النصوص الكتابية على أسماء السلاطين والوزراء والمهندسين والصناع والألقاب والمهن وغير ذلك، بالإضافة إلى توثيق الكتابة بذكر تواريخ إنجاز الأعمال المنفذة وأحياناً تذكر الفترة التي أنجز فيها العمل.

وقد استخدم خط الثلث في غالبية النصوص الكتابية سواء على المباني أم على المواد المصنعة، مثل الأقفال والمفاتيح التي كانت تصنع للكعبة أو للحجرة الشريفة في المسجد النبوي.

ولم يغفل الخطاطون أو النقاشون عن إضافة لمحات جمالية للنصوص الكتابية. فقد تفننوا في وضع الأسطر داخل إطارات مستطيلة ومقوسة ونصف دائرية وزخارف نباتية متعددة، تشتمل على أنصاف مراوح نخيلية وأفرع نباتية وأشكال هندسية. بالإضافة إلى ملء الفراغات بين الأسطر بما يناسبها من زخارف وعلامات نقط وإعجام في بعض الأحيان.

والأمثلة كثيرة على انتشار الكتابات في العصر العثماني على الأحجار وعلى المنشآت الدينية والمدنية والحربية.

وهناك عدد من النقوش و(الرنوك) في هذا العصر يمكن مشاهدتها داخل الحرم

المكي الشريف أو محفوظة في متحف الحرم، منها نقش تأسيسي لعمارة باب السلام مؤرخ بسنة ٩٣١هـ في عهد السلطان سليمان القانوني. وللسلطان نفسه رنك محفور على باب السلام يتكون من ثلاثة أسطر تقرأ «السلطان المظفر سليمان خان عز نصره» ويوجد رنك آخر باسم السلطان مراد بن سليم يقرأ:

١) عز لمولانا السلطان الملك المظفر مراد
٢) خان بن السلطان سليم خان بن سليمان خان
٣) عز نصره
٤) في سنة ٩٨٤

وفي متحف الحرم المكي مجموعة من الكتابات والنقوش تتعلق بعمارة الحرم وبعض المرافق، منها:

١) نص تأسيسي مؤرخ بسنة ٩٤٥هـ لتجديد مسجد جعفر بن أبي طالب.
٢) حجر تأسيسي لعمارة المسجد الحرام في عهد السلطان سليم الثاني.
٣) عدد من النصوص القرآنية منقوشة على ألواح رخامية، وأسماء الصحابة منقوشة على تيجان الأعمدة والشرفات. وفي متحف طوب قبو سراي باستنبول مجموعة من أقفال ومفاتيح الكعبة عليها نصوص قرآنية وأسماء السلاطين وتواريخ صناعتها، وقد كتبت تلك النصوص بخط الثلث. وتعود التواريخ الواردة على تلك الأقفال والمفاتيح للسنوات ٩١٥هـ و٩٤٣هـ و٩٩٦هـ و١٠٠٢هـ و١٠٠٨هـ و١٠٢٢هـ و١٠٣٩هـ وسنة ١٠٥٦هـ.

وهناك نص تأسيسي كتب شعراً لإنشاء سبيل السلطان مراد بباب الصفا، وكذلك نص تأسيسي لعمارة تكية السيدة فاطمة مؤرخ بسنة ١٠٨٦هـ. وفي متحف الحضارة بجامعة أم القرى نص تأسيسي لعمارة عين حنين وتجديد بركة السلم بطريق منى مؤرخ سنة ٩٣٥هـ في عهد السلطان سليمان القانوني.

أما شواهد القبور المنقوشة في العصر العثماني فلدينا حجر محفوظ في مكتبة عبدالله بن عباس في الطائف مؤرخ بسنة ٩٩٤هـ باسم الشريف حراز بن أحمد بن أبي نمي.

وفي متحف الآثار بجامعة الملك سعود حجر شاهدي محفور بالخط البارز باسم قايتباي، أحد أفراد أسرة بني قتادة أمراء مكة، والنقش مؤرخ بسنة ١٠٠٥هـ.

أما المسجد النبوي الشريف فما يزال يحتفظ بنصوص قرآنية مكتوبة على البلاطات الخزفية التي تحلي جدران المسجد من الداخل، بالإضافة إلى أسماء

نص من العصر العثماني منفذ على بلاطات خزفية، يؤرخ لتجديد قعلة تبوك في عام ١٠٦٤هـ

الله الحسنى، وأسماء الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام التي تتكرر في أرجاء التوسعة العثمانية.

وهناك آيات قرآنية في صدر المحراب السليماني وحول عقده. كذلك يوجد نص تأسيسي على حائط المحراب الخلفي مؤرخ سنة ٩٤٨هـ ويقرأ على النحو التالي:

«جدد هذا المكان الشريف السلطان الملك المظفر سليمان خان بن السلطان سليم خان بن بايزيد خان فخر آل عثمان خلد الله ملكه بمحمد وآله وصحبه وسلم، تاريخ إتمامه شهر جمادى الآخرة سنة ٩٤٨».

وفي متحف طوب قبو سراي قفلان ومفتاحان للحجرة النبوية الشريفة عليهما نصوص تركية، وصنعا سنة ١٠٠٢هـ و١٠٠٣هـ، ويقرأ النص المنقوش على المفتاح «بسم الله يافتاح». ونفذت الكتابة بخط الثلث والتعليق. ويوجد عدد من النصوص التأسيسية على عدد من المباني العامة التي خدمت طريقي الحج الشامي والمصري، بعضها كتب باللغة التركية وبعضها ورد على شكل أبيات شعرية. وتوضح تلك النصوص -وقد نفذت كتابتها بخط الثلث البارز- اهتمام السلاطين العثمانيين بطرق الحج، إذ قاموا بتعمير القلاع والآبار والبرك. ونجد من تلك النصوص على قلعة ذات الحاج (٦٦٢هـ) و(٩٧١هـ) وقلعة تبوك (١٠٦٤هـ) و(١٢٦٠هـ) وقلعة

الأخضر (٩٣٨هـ و ١٠٣١هـ). وبئر الواردة في المويلح (٩٦٧هـ) وقلعة المويلح (٩٦٨هـ) ونقش تأسيسي لعمارة قلعة الزريب مؤرخ بحساب الجمَّل «قلعة السلطان وجه للصفا» ويساوي (١٠٢٦هـ).

وفي جامع علي باشا بالهفوف المسمى مسجد إبراهيم نقش تأسيسي مؤرخ سنة ٩٧٩هـ كتب بخط الثلث البارز ويتكون من خمسة أسطر هي:

١) إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله فعسى (أولئك) أن يكونوا من المهتدين.

٢) أمر بإنشاء هذا الجامع المبارك السعيد من ماله مولانا السلطان الأعظم.

٣) والخاقان المكرم والملك المفخم سليم بن سليمان خان أعز الله تعالى أنصاره ورحم سلفه.

٤) العبد الفقير إلى رحمة ربه الغني القدير علي باشا لطف الله تعالى به.

٥) بتاريخ أوائل شهر رجب المرجب والمعظم قدره وحرمته سنة تسع وسبعين وتسعماية.

ونستخلص من هذا العرض الموجز عن الكتابات في العصور الإسلامية المختلفة أن المملكة تحتضن بين مناطقها الشاسعة كنوزاً من النقوش الإسلامية والكتابات الشاهدية والنصوص التأسيسية التي توثق لإقامة المنشآت الدينية والمدنية والعسكرية. وتشكل هذه الكتابات مصدراً مهماً من مصادر دراسة التاريخ الحضاري والفني والاقتصادي والسياسي واستنباط معلومات مختلفة اجتماعية وثقافية. ويضاف إلى ذلك تكوين صورة شاملة عن تطور الخط على المستوى المحلي داخل الجزيرة العربية بأقاليمها المختلفة مع معرفة عامل التأثير والتأثر وسيادة فن على فن، وكذلك معرفة مدارس الخطاطين والحفارين من خلال أعمالهم. ولدينا على سبيل المثال أسماء بعض منهم من خلال أعمالهم في نقوش عشم والأحسبة، مثل أحمد الحفار، وأحمد بن الحسين، ويعلى بن موسى.

وتضاف أعمال هؤلاء إلى خطاط مكي اشتهر بنقوشه الفريدة في الأحجار الشاهدية التي كان يكتبها وهو مبارك المكي، وقد عثر على أمثلة من أعماله في مجموعة شواهد القبور المحفوظة في متحف الفن الإسلامي بالقاهرة. وتمتاز أعماله بتسجيله نصوصاً مطولة على الأحجار، إما بالحفر الغائر أو البارز، مع تعميق وتزويق للحروف، وهندسة فريدة في التناسب بين الأحرف والكلمات والأسطر، حتى كوّن بذلك مدرسة خاصة به في القرن الثالث الهجري.

نقش تأسيسي مؤرخ بعام ٩٧٩هـ من جامع علي باشا، المسمى بمسجد إبراهيم – الهفوف

والأمثلة المكتشفة بتوقيع المكي أربعة أحجار، ثلاثة منها عليها تاريخ سنة ٢٤٣هـ والرابع مؤرخ سنة ٢٤٦هـ.

فالنقش رقم (٤٦٢) مكوّن من ١٨ سطراً وفوق الإطار كُتب «بركة من الله عمل مبارك المكي».

النقش رقم (٤٦٩) من ٢٦ سطراً وفوق الإطار أعلى الشاهد الأيسر «وكتب المكي».

النقش رقم (٤٩١) من ٩ أسطر، وينتهي السطر الأخير داخل الإطار بعبارة «من عمل مبارك المكي». وفي أعلى الشاهد خارج الإطار عبارة «وكتب المكي».

النقش رقم (٥٨٧) من ١٩ سطراً، وفوق الإطار عبارة «وكتب المكي».

ومن هذه الأعمال الفنية الراقية وغيرها من الآثار الخطية المكتشفة وما يتوقع اكتشافه مستقبلاً سنجد –بإذن الله– رافداً مهماً من روافد المعرفة لتاريخ الحضارة الإسلامية في الجزيرة العربية.